الفصل الثالث

فى العبـادات

- أبواب الجنة
- رجل من أهل الجنة
- أعمال تدخل الجنة
- موقف تعليمى
- حسن الدعاء
- استحباب الرقية
- يسر العبادة وشمولها
- كثرة الخُطا إلى المساجد
- أصحاب الأعمال وصلاة الجماعة
- آداب الصلاة
- التخفيف فى صلاة الجماعة
- أدب الاقتداء فى الصلاة
- الزكاة بين المنع والتقديم
- الرفق فى الصوم
- الصوم فى السفر
- الأضحية
- حكم الصيد أثناء الحج
- النيابة فى الحج
- المرأة فى الحج
- محرمات الإحرام
- العمرة فى رمضان
- الحج فريضة العمر
- ثواب الله فى التسبيح
- الرفق فى الدعاء
- مجالس الذكر

أبواب الجنة

ربط الله تعالى العمل الصالح بالجنة والنعيم، وجعل الثواب مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر..

والجنة لها ثمانية أبواب، لكل باب صنف من الناس يدخلون منه حسب أعمالهم، وعلى كل باب ملائكة ينادون المؤمنين بنداء الكرامة والبشرى.. وفى ذلك يقول الله تعالى:

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

(الزمر / ٧٣)

وقد حرص رسول الله ﷺ أن يدعو المؤمنين إلى المسارعة إلى عمل الخير وخير العمل، وحببهم إلى ذلك ، فذات يوم قال ﷺ لأصحابه:

(من أنفق زوجين فى سبيل الله نودى فى الجنة يا عبد الله هذا خير) والمراد بالزوجين كل ما قرن بغيره، بحيث لا يقتصر الإنفاق على لون واحد أو صنف واحد، بل إن المسلم ينفق من كل شىء يملكه مالاً أو طعاما أو ثيابا أو آنية، قلّ ذلك أو كثر، بحيث يواصل الصدقة والإنفاق حتى يكون السخاء والكرم طبيعة فيه وسجية، وبذلك يحظى يوم القيامة بنداء الملائكة له ليدخل الجنة من باب خاص هو باب الصدقة.

ثم قال رسول الله ﷺ :

فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان.

فالمسلم الذى يواصل الصلاة فرضا ونفلا ويحافظ على خشوعها وآدابها حتى تصبح الصلاة قرة عينه – تنادى عليه الملائكة ليدخل الجنة من باب الصلاة..

والمسلم الذى يدافع عن الحق ، ويجالد فى سبيل نصرة الدين، ويظل فى رباط ذودا عن العرض والشرف والقيم – مثل هذا الشخص يحظى بالنداء الملائكى ليدخل الجنة من باب الجهاد..

والمسلم الذى يصوم رمضان ويكثر من نوافل الصيام على مدار العام ويتحمل العطش والظمأ – تنادى عليه الملائكة ليدخل الجنة من باب الريان.

ولما تكلم الرسول ﷺ مع أصحابه بهذا التوجيه، ودفعهم إلى العمل الصالح ورغبهم فى ثواب الله – ازداد شوقهم وتطلعوا إلى فضل الله وحفزهم ذلك إلى مزيد من العمل الصالح.. فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: يا رسول الله ما على أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرروة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟!

لقد سأل أبو بكر عن شخص جمع خصال الخير كلها، وحرص على فعل البر بأجمعه، وواصل مسيرة الطهر والنقاء ما عاش، فهل تنادى عليه الملائكة ليدخل من أبواب الجنة كلها؟ هل تتسارع إليه الملائكة تكريما وتشريفا ليدخل من أى باب شاء؟

ولعل أبا بكر رضى الله عنه كان حريصا وشغوفا على كل عمل يقربه إلى الجنة والفردوس الأعلى..

عندئذ قال النبى ﷺ : **نعم وأرجو أن تكون منهم.**

رجل من أهل الجنة

يحدثنا أنس بن مالك أن الصحابة رضى الله عنهم نُهوا عن تتابع الأسئلة مع الرسول ﷺ، تلك الأسئلة التى قد تفتح عليهم أبوابا لا يطيقونها أو تلزمهم بواجبات ينوءون بحملها..

ولما تهيبوا الموقف كان يعجبهم أن يجيء الرجل العاقل من أهل البادية يسأل وهم يستمعون، فإن السائل دائما يسأل لنفسه وينتفع بالجواب كل من كان على ثاكلته، والعلم سؤال وجواب..

وكان الرسول ﷺ يبعث المعلمين إلى الناس فى مواقعهم، يعلمونهم الدين وشرائع الإسلام حتى لا يشق عليهم بالحضور إلى مسجد الرسول فى المدينة المنورة..

وذات يوم جاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك . فقال النبى: صدق، ثم قال الأعرابى، فمن خلق السماء؟ قال النبى الكريم: الله، قال الأعرابى: فمن خلق الأرض؟ قال النبى الكريم: الله، قال الأعرابى: ومَنْ نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال النبى الكريم: الله.

وبعد هذه البداية الرائعة حقا قال الأعرابى: فبالذى خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك؟ قال النبى الكريم: نعم.

وهكذا اطمأنت عقيدة الرجل وقامت على اليقين، وتحققت له كلمة التوحيد وشهادة الإسلام – لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

ثم واصل الأعرابى تساؤلاته فقال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا، قال النبى الكريم: صدق، قال الأعرابى: فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال النبى الكريم: نعم.

قال الأعرابى: وزعم رسولك أن علينا زكاة فى أموالنا، قال النبى الكريم: صدق، قال الأعرابى: فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال النبى الكريم: نعم.

قال الأعرابى: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان فى سنتنا، قال النبى الكريم: صدق، قال الأعرابى: فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال النبى الكريم: نعم. قال الأعرابى: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا، قال النبى الكريم: صدق..

وهكذا كان الأعرابى حريصا على أن يتأكد بنفسه مما بلغه مبعوث الرسول وتعلمه منه.

وكان الأعرابى على عقل رصين ومنطق دقيق، فقد واجه النبى ﷺ مواجهة كريمة ورتب الأسئلة ترتيبا عجيبا واستحلفه على كل فريضة..

ولما أراد الأعرابى أن يعود من حيث أتى قال: والذى بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن..

عندئذ قال النبى ﷺ: **لئن صدق ليدخلن الجنة..**

أعمال تدخل الجنة

كان الناس يأتون رسول الله ﷺ يسألونه عما يصلح دينهم ودنياهم، وعما ينفعهم فى الأولى والآخرة، وكان الصحابة رضى الله عنهم أحرص الناس على ثواب الله وجنته، يتلمسون سبل النجاة من النار، والفوز بالجنة، فإن الجنة دار المتقين، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، قال الله تعالى:

﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾.

(آل عمران / ١٨٥)

وقال جل شأنه:

﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾.

(آل عمران / ١٥)

وذات يوم كان الرسول ﷺ فى سفر فجاء أعرابى فعرض للرسول الكريم وأخذ بخطام ناقته أو زمامها واستوقفه عن السير ثم سأل سؤالاً عجبا، فقال: يا رسول الله أو يا محمد أخبرنى بما يقربنى من الجنة وما يباعدنى من النار.

فتوقف النبى ﷺ ونظر فى أصحابه معجبا بالسؤال والسائل، وقال لهم: لقد وُفق أو لقد هُدى. أى أن الله تعالى وفق هذا السائل وألهمه هذا السؤال الذى يحقق له الفوز الأكبر..

وأخذ الرسول ﷺ يتأكد من اتجـــاه هـذا الأعرابـى وحرصـه فقـال لـه: كيـف قلت؟ فأعـاد الأعرابـــى ســؤاله مـرة أخـرى وقـال: أخـبرنى بمـا يقربنـى مـن الجنة وما يباعدنى من النار.

ولم يكن لرسول الله ﷺ حرس خاص أو حُجّاب يمنعون عنه الناس.

وكان ﷺ أسعد الناس بتبليغ رسـالة الله إلى خلـق الله، وبـدأ الرسـول الكريـم يرشد الأعرابى إلى أصول الدين وقواعد الإسلام وأخلاق الدين الحنيف..

فبدأ معه بتوجيهه إلى عبادة الله وحدة لا شريك، بحيـث يؤمـن أن الله وحـده هو الخالق الرازق المحيى المميت، مدبـر الكـون والكائنـات، وأن يفـرده سـبحانه بالدعاء والتوكل والاستعانة، ويلتزم بشرائع الدين وبخاصة إقامـة الصـلاة المكتوبـة وإيتاء الزكاة المفروضـة، وأن يحـرص علـى العلاقـات الاجتماعيـة النبيلـة فيصـل الأرحام ويحسن إلى الأقارب، ويزورهم ويتودد إليهم ويسـاعدهم..

وبعد أن وضح له الرسول الكريم ذلك، أمر الأعرابى أن يترك الناقة تسير، لقـد سأل الأعرابى سؤاله المهم عما يقربه إلى الجنة ويباعده عن النار.

وعندئذ قال النبى ﷺ:

تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتـى الزكـاة وتصـل الرحـم.. دع الناقة.

موقف تعليمى

بعث الله تعالى الرسول محمدا ﷺ معلما، يبين للناس الهدى والنور، ويشرح لهم بالقول والفعل أمور حياتهم، ويوضح حكم الله فيما يقع بينهم وما يحدث لهم، حتى تظل كلمة الله سارية بينهم، معروفة لهم..

وفى غزوة خيبر التى وقعت فى العام السابع للهجرة، وتم فيها جلاء اليهود عن الجزيرة العربية، وأثناء الرجوع من هذه الغزوة إلى المدينة المنورة ليلا. أراد الجيش أن ينال قسطا من النوم، فعسكر الجنود.. وقال الرسول ﷺ لمؤذنه بلال بن رباح: اكلأ لنا الليل، أى ارقبه واحرص على وقت الفجر لتوقظنا حتى نصلى صلاة الصبح..

ونام الرسول القائد، واستغرق الصحابة فى النوم لفرط تعبهم، وقام بلال فصلى صلاة التهجد، ولما قارب الفجر استند بلال إلى راحلته حتى يحين موعد الفجر، فغلبته عيناه واستغرق فى النوم، فلم يستيقظ رسول الله ولا أحد من الصحابة حتى طلعت الشمس..

وكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظا، ففزع لفوات صلاة الفجر، ونادى: أين بلال؟ فاستيقظ بلال واعتذر قائلا:

أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك، بأبى أنت وأمى يا رسول الله.

أى أن النوم غلبنى ولم أستطع مراقبة الفجر فإن الجميع يومئذ كانوا متعبين من عناء السفر ومشقة الطريق..

ومعنى قوله: (بأبى أنت وأمى يا رسول الله) أى أفديك بأبى وأمى يا رسول الله، فإن الرسول الكريم أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأهليهم وأموالهم..

ولما استيقظ الجيش كله أمرهم الرسول ﷺ أن يقتادوا رواحلهم ويتحركوا من هذا المكان وقال لهم: ليأخذ كل رجل برأس راحلته فإن هذا منزل حضرنا فيه الشيطان.

وساروا إلى مكان آخر فعسكروا، وتوضأ رسول الله وأمر بلالاً فأذن ثم أقام الصلاة، والتقى الصحابة برسول الله فى صلاة جامعة، فصلى بهم الصبح فى هذا الوقت الذى أشرقت فيه الشمس وسطعت..

ولما قضيت الصلاة توجه الرسول ﷺ بالتعليم لأصحابه والمسلمين من بعدهم بأن الصلاة إذا فات وقتها المشروع لعذر من نوم أو نسيان قضاها المسلم ساعة تذكرها فإن الله تعالى لا يحاسب الإنسان عما يخرج عن استطاعته..

عندئذ قال النبى ﷺ: **من نسى الصلاة فليصلها إذا ذكرها فإن الله قال: أقم الصلاة لذكرى.**

حسن الدعاء

كان رسول الله ﷺ يتفقد أصحابه، إذا غابوا سأل عنهم، وإذا حضروا داعبهم، وإذا مرضوا عادهم، وإذا كانوا فى حاجة ساعدهم..

وصدق الله حيث يقول:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾

(التوبة / ١٢٨)

وذات يوم قام رسول الله ﷺ بزيارة رجل من المسلمين فوجده شديد المعاناة، ضعيف البدن، مصابا بهزال حتى صار مثل الفرخ..

فتعجب رسول الله ﷺ من حال هذا الرجل وسأله، هل كنت تدعو الله بشىء أو تسأله إياه؟

لقد استفسر الرسول من الرجل عن شىء عجيب، ولفته إلى شىء دقيق، لقد سأل الرجل عن موقفه من الدعاء، فالدعاء مخ العبادة، والدعاء قد يستجاب للمرء حسب دعوته أو حسب الحكمة الإلهية..

فقال الرجل: نعم كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا..

إن الرجل كان مشفقا من غضب الله، وكان وجلا من لقاء الله، وكان حريصا على أن يوافى القيامة طاهرا من الذنب، بريئا من المعصية، خالصا من الإثم..

وفكر الرجل فرأى أنه غير معصوم، وقد يكون ارتكب آثاما ومعاصى، فأحب أن يعاقب عليها فى الدنيا حتى يبرأ منها فى الآخرة، فإن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة، فدعا الله تعالى أن يعجل له عقوبة ذنوبه..

وهذا التفكير له دلالته فى عمق الإيمان والحرص على الفـردوس الأعلـى، لكـن الرسول ﷺ علمه معنى آخر أجمل وأرفق وأكمل، فإن الإنسان لا يتحمـل عقـاب الله العاجل أو الآجل، وعلى المـرء أن يحسـن نيتـه ويواصـل مسـيرة النقـاء بقـدر الطاقة ثم بعد ذلك يسأل الله الرحمة والعافية..

ولهذا قـال ﷺ للرجـل: سبحان الله لا تطيقـه أو لا تسـتطيعه.. أى لا تطيـق تعجيل العقوبة الإلهية فى الدنيا، واتجاهك إلى هـذا اللـون مـن الدعـاء هـو الـذى جعلك هزيلا، ضعيف البنية، ودعا رسول الله للرجل بالشفاء العاجل فشفاه الله..

وعندئذ قال النبى ﷺ:

أفلا قلت اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

استحباب الرقية

الناس فقراء إلى الله فى كل لمحة ولحظة، ولا وجود لشيء بغير إرادة الله، والدعاء مخ العبادة وهو موقف ضراعة خاشعة أمام الله عز وجل بحيث يستشعر الإنسان عظمة الخالق المبدع، وجلال البارئ المصور، ويستمطر رحمته ويخشى بأسه ويرجو غفرانه..

ومما هو جائز شرعا الرقية بمعنى أن يضع الإنسان يده على موضع الداء ويقرأ كلمات طيبات سواء كانت من القرآن المجيد أو من الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ، ومن رحمة الله تعالى أنه جل جلاله يستجيب لدعاء المؤمنين الصادقين بما شاء وكيف شاء..

وكان رسول الله ﷺ إذا أتى مريضا يدعو له ويقول: أذهب الباس رب الناس، واشف أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما..

وكان ﷺ إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين أى سورة قل أعوذ برب الفلق، وسورة قل أعوذ برب الناس.

وأقر الرسول الرقية بفاتحة الكتاب، وأمر بعرض الرقى - التى كان يفعلها الناس - عليه وقال: اعرضوا علىّ رقاكم، لا بأس بالرُّقى ما لم يكن فيه شرك.

والرقية لا تنافى الأخذ بالأسباب، فالمسلم يأخذ بأسباب العلاج ويسعى إلى معرفة الأدوية التى يصفها الأطباء ويعتقد أن الأمر كله لله من قبل ومن بعد، ويدعو الله دائما أن يمنحه الشفاء..

ويروى جابر بن عبد الله رضى الله عنه، وهو أحد الصحابة الأخيار فيقول: لدغت رجلا منا عقرب ونحن جلوس مع رسول الله ﷺ فقال رجل: يا رسول الله أرقى؟!

إن الصحابة رضى الله عنهم كانوا على حرص كبير لمعرفة أحكام الدين فى كل صغيرة وكبيرة من أمور حياتهم، وكانوا يغتنمون فرصة تواجدهم فى مجلس الرسول الكريم ليسألوه عما حدث لهم ووقع بينهم.. كى تطمئن قلوبهم إلى مرضاة الله عز وجل..

لقد أراد الرجل أن يستأذن رسول الله ﷺ فى الرقية ويعرف حكمها الشرعى، عندئذ قال النبى ﷺ:

من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل.

يسر العبادة وشمولها

هناك اصطلاح فقهى يقسم الشريعة إلى عبادات ومعاملات، وتعنى العبادة فى هذا الاصطلاح الصلاة والزكاة والصيام والحج، وتعنى المعاملة البيع والنكاح والأقضية والحدود والمواريث.. الخ.

هذا اصطلاح فقهى، ولا مشاحة فى الاصطلاح لكن العبادة فى مفهومها الشرعى هى امتثال الأمر واجتناب النهى فى خضوع وضراعة، والأمر الشرعى له درجاته من الوجوب والندب، والنهى الشرعى له درجاته من الحرمة والكراهة..

وكل أوامر الله تعالى ونواهيه ملزمة للمكلف بدرجات الإلزام المختلفة، وهى فى مجموعها العبادة الشرعية، والدين كل لا يتجزأ.. فهو تنزيل رب العالمين الذى أحاط بكل شىء علما.

وقد اجتمع ثلاثة نفر من الشباب المسلم على عهد رسول الله ﷺ وأرادوا أن يبالغوا فى العبادة، وظنوا أن للرسول الكريم عبادة خاصة يؤديها فى بيته ولا يعلمها كثير من الناس..

هؤلاء النفر هم على بن أبى طالب، وعبد الله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون رضى الله عنهم، ووجد هؤلاء الشباب أن سؤال زوجات النبى ﷺ عن العبادة الخاصة التى يؤديها الرسول فى بيته قد يلبى رغبتهم فى المغالاة..

فلما أخبرت الزوجات الطاهرات هؤلاء الشباب بعبادة الرسول الكريم فى بيته عدوها قليلة ثم عللوا هذا الفهم وقالوا: وأين نحن من النبى ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر..

وظن هؤلاء الشباب أن الباعث على العبادة ينحصر فى خوف العقوبة، ونسوا أن خوف الإجلال أعظم، وأن الإنسان المغفور له يجب أن يكون عبدًا شكورًا..

وهنا بدأ هؤلاء الشباب يخترعون ألوانا من العبادات ظنوها تقربهم إلى الله تعالى، فقال أحدهم: أما أنا فإنى أصلى الليل أبدا ، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثالث: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا..

فلما بلغ خبرهم إلى رسول الله ﷺ جاءهم وقال لهم: أنتم الذين قلتم كذا وكذا..

عندئذ قال الرسول الكريم:

أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم لله، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى.

كثرة الخُطا إلى المساجد

الحفاظ على الصلاة شعار المسلم، فإن الصلاة أحد أركان الإسلام، واختصها الله تعالى بشرف التشريع فى مناجاة علوية قدسية ليلة الإسراء والمعراج، وهى الفريضة التى تتكرر يوميا خمس مرات، قال الله تعالى:

﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾.
(البقرة / ٢٣٨)

والمحافظة على الصلوات تكون بحسن الوضوء قبلها، والخشوع فى أدائها، ومراعاة آدابها، وأن تصلى فى جماعة، وحيث ينادى عليها فى المسجد، فإن أداء الصلاة جماعة فى بيت من بيوت الله هو من سنن الهدى..

ولقد كان الصحابة رضى الله عنهم على عهد رسول اللهﷺ يحرصون حرصا شديدا على الصلاة خلف رسول الله ليكتسبوا ثوابا ما بعده ثواب..

فثواب الجماعة يزيد على ثواب الفرد بخمس وعشرين درجة أو بسبع وعشرين.

وثواب الصلاة فى المسجد النبوى يعدل ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وحيث يكون الإمام هو رسول الله فتلك منزلة رفيعة لها شأن كبير فى الدين..

ولم يكن يتخلف عن صلاة الجماعة يومئذ إلا منافق معلوم النفاق حتى إن الرجل يأتى إلى الصلاة وهو مريض يتحامل بين رجلين يعتمد عليهما حتى يقف فى الصف.. وبلغ من حرص الصحابة وحبهم للصلاة خلف رسول الله ﷺ أن بعضهم وهم بنو سلمة أرادوا أن ينتقلوا إلى قرب المسجد النبوى لأن ديارهم كانت نائية فنهاهم الرسول ﷺ وقال لهم: دياركم تكتب آثاركم، أى الزموا دياركم حيث كانت فإن لكم بكل خطوة إلى المسجد درجة عند الله عز وجل..

وكان رجل من الصحابة أبعد الناس عن المسجد، ومع ذلك لا تخطئه صلاة ويحرص على أن يتواجد فى المسجد كل صلاة رغم المشقة التى تعتريه من بُعد منزله، وأشفق عليه الصحابة فقيل له: لو اشتريت حمارا تركبه فى الظلماء وفى الرمضاء..

قال الرجل: ما يسرنى أن منزلى إلى جنب المسجد، إنى أريد أن يكتب لى ممشاى إلى المسجد، ورجوعى إذا رجعت إلى أهلى..

أى أن الرجل لديه شوق كبير إلى الصلاة مع رسول الله، وعنده الرغبة فى التحمل والمشى على قدميه مهما كلفه ذلك من مشقة، فالنفوس إذا كانت كبارا تعبت فى مرادها الأجسام، وتعجب الصحابة من قوة تحمل هذا الرجل، فأخبروا الرسول بما قال، فدعاه واستفسر منه عن وجهة نظره، فذكر الرجل أنه يرجو فى أثره (ممشاه) الأجر..

عندئذ قال النبى ﷺ: **قد جمع الله لك ذلك كله**..

وفى رواية: **إن لك ما احتسبت**.

أصحاب الأعمال وصلاة الجماعة

الإمامة فى الصلاة كالإمامة فى حكم الناس، كلاهما يقتضى الرفق بهم والشفقة عليهم، وأداء الواجب بلا مشقة ولا عنف ولا تقصير..

والإسلام يحبب الناس فى المساجد حتى يؤدوا الفرائض الخمس جماعة داخل بيوت الله فكلما حان وقت الصلاة وانطلق النداء الإلهى الخالد (الله أكبر الله أكبر) ترك الناس ما فى أيديهم من شواغل الحياة وأسرعوا لإجابة النداء ثم يعودون لمصالح حياتهم..

وكان معاذ بن جبل رضى الله عنه يصلى مع النبى ﷺ ثم يعود إلى قومه فى مكان بعيد عن مسجد رسول الله فيصلى معهم مرة أخرى ويؤمهم فى الصلاة، فلم يكونوا يستطيعون الحضور إلى المسجد النبوى، وكان لمعاذ فسحة من الوقت أو العمل فيذهب لأداء الصلاة مع النبى الكريم، ولا يحرم نفسه من تلك الصلاة المشهودة ثم لا يحرم قومه أيضًا من صلاة الجماعة، وهو يومئذ أقرؤهم لكتاب الله، فيؤمهم ويصلى إماما بهم..

وفى ليلة من الليالى صلى معاذ العشاء مع النبى ﷺ ثم أتى قومه وأمهم وافتتح بسورة البقرة وظل يقرأ فيها قراءة مطولة، فشق ذلك على من خلفه، فخرج رجل من الصلاة وانصرف عن الجماعة وصلى وحده.

فلما انتهت صلاة الجماعة وشعر الناس بما حدث من هذا الرجل قالوا: أنافقت يا فلان؟! وقال بعضهم: إنه منافق..

وظلوا يلومون الرجل على قطع صلاته خلف الإمام، وإتمامها منفردا، واتهموه بالنفاق، فشأن المنافق أن يأتى الصلاة بكسل وهمة ضعيفة ولا ينشط لها..ولكن الرجل كان مسلما صادق الإيمان، ولم يستطع أن يتحمل طول الصلاة وطول القراءة وطول الوقوف، فقال لمن حوله: لا والله لست منافقا وأصرّ على أن يأتى رسول

الله يخبره الخبر ويشكو إليه أمر معاذ، ولما وصل إلى الرسول الكريم قال: يارسول الله إنا أصحاب نواضح نعمل بالنهار، وإن معاذا صلى معك العشاء ثم أتى فافتتح بسورة البقرة..!!

لقد اشتكى الرجل إلى رسول الله وبيّن له أنه صاحب إبل يظل يسقى عليها النهار كله، فيناله التعب والنصب، ويريد أن يأوى إلى فراشه سريعا ليستريح، وهو حريص على صلاة العشاء في جماعة يختم بها يومه إلا أن معاذا يطيل الصلاة..

فعنف الرسول معاذا وأرشده إلى القراءة بقصار السور، وعندئذ قال النبى ﷺ:

يا معاذ أفتان أنت؟! اقرأ والشمس وضحاها، والضحى، والليل إذا يغشى، وسبح اسم ربك الأعلى.

آداب الصلاة

الصلاة فريضة محكمة، يؤديها المسلم بخشوع وسكينة، ويتهيأ لها بالطهارة البدنية والقلبية، فيتوضأ ويحس الوضوء، ويستغفر من ذنبه ويتوب ثم يقف بين يدى الله تعالى مستحضرا عظمة الله الكبير المتعال، ومرتلا للقرآن ومتأملا قراءته.. وخاشعا فى قلبه وجوارحه فلا يتحرك حركة لا تقتضيها الصلاة، ولا يفعل فعلا لا تتطلبه أركان الصلاة وهيئاتها، ويلتزم التزاما كاملا بأدب رسول الله ﷺ فيصلى كما صلى..

وذات يوم خرج الرسول ﷺ على أصحابه وهم يصلون فقال: (مالى أراكم رافعى أيديكم كأنها أذناب خيل شُمْس اسكنوا فى الصلاة).

وهذا توجيه نبوى كريم يتعلق بأدب الخروج من الصلاة والانتهاء منها، فالمشروع هو أن المسلم ينهى صلاته بالسلام قائلا السلام عليكم ورحمة الله مرة عن يمينه ومرة عن شماله..

لكن الرسول ﷺ وجد الصحابة يرفعون أيديهم عند السلام من الصلاة، فنهاهم عن ذلك وشبه حركتهم هذه بأذناب الخيل المضطربة التى لا تستقر على حال.

ومرة أخرى خرج الرسول ﷺ على أصحابه فرآهم فى المسجد مجموعة حلقات، لا ينتظمهم صف ولا يتراصون فى صلاتهم كالبنيان فقال لهم: مالى أراكم عزين؟! أى لماذا أنتم متفرقون؟

وهذا توجيه نبوى يتعلق بانتظام صفوف الصلاة وترابطها وانتظامها. وقد كان ﷺ عندما يؤم الناس للصلاة يسوى الصفوف ويقارب بين مناكب المصلين بيده الشريفة ويقول لهم: استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم..

ومرة ثالثة خرج رسول الله ﷺ على الصحابة وهم فى المسجد فقال لهم: ألا تصفون؟ كما تصف الملائكة عند ربها؟

والمعنى ألا تقفون صفوفا متراصة لا عوج فيها ولا أمتا، كما تقف الملائكة صفوفا متراصة عند ربها..

وتساءل الصحابة وقالوا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟

عندئذ قال النبى ﷺ:

يتمون الصفوف الأول ويتراصون فى الصف..

التخفيف فى صلاة الجماعة

شرع الإسلام الصلاة جماعة فى المسجد لحكم كثيرة وفوائد عظيمة، فالمسلم يذهب إلى المسجد فى خشوع وخضوع فيكتسب حسنات بكل خطوة يخطوها، وهناك فى المسجد يلتقى بجماعة المسلمين يتعرف عليهم ويتودد إليهم ويجالسهم ويجتمع معهم على طهارة ونقاء، فإذا صلى تضاعف له الثواب أضعافا كثيرة، فصلاة الجماعة تعدل صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة أو بسبع وعشرين..

وصلاة الجماعة تعنى الاقتداء بإمام فقيه يعرف من الدين ويحسن من قراءة القرآن ما تصح به الصلاة ويؤهله لإمامة الناس فيقف خلفه المصلون فى صفوف متراصة، يتحركون بحركته ويسكنون بسكونه ويتتبعون كل أعماله فى الصلاة بحب وتوقير..

ومن واجب هذا الإمام أن يراعى المأمومين فلا يشق عليهم بتطويل قراءة أو ركوع أو سجود، وإنما تكون صلاته وسطا، بلا إخلال بما يجب لها، ومع المحافظة على آدابها..

وذات يوم جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: إنى لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا..

لقد اشتكى الرجل إمامه لرسول الله، فهو يطيل الصلاة حتى يعجز مَنْ خلفه، مما جعل هذا الرجل يتخلف عن صلاة الصبح جماعة فى المسجد، ويصليها فى بيته منفردا لأنه لا يستطيع مسايرة هذا الإمام فى صلاته الطويلة..

وقد غضب الرسول ﷺ غضبا شديدا، وتوجه بنصيحة عامة، ودعا المسلمين الذين يقفون أئمة للصلاة أن يتقوا الله فى المصلين خلفهم، ويسيروا بسير أضعفهم، وأن يراعوا المأمومين، فقد يكون فيهم رجال ونساء مرضى أو رجال

ونساء عجائز، أو رجال ونساء ذوو حاجة يريدون سرعة قضائها عقب الصلاة، وليس من الحكمة أن يقف المصلى مشوش الخاطر، موزع الفكر، وليس من الدين أن ننفر الناس من الصلاة جماعة فى بيوت الله.

إن الرسول الكريم بلغه شكوى الناس من بعض أئمتهم، وعندئذ قال النبى ﷺ:

يا أيها الناس إن منكم منفرين، فأيكم أمّ الناس فليوجز. فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة.

أدب الاقتداء فى الصلاة

صلاة الجماعة يؤديها المسلم خلف إمام يتقدم الصفوف فيقتدى به المصلون خلفه، لا يبدأون الصلاة إلا بعد أن يكبر الإمام تكبيرة الإحرام، ولا يركعون إلا بعد أن يركع، ولا يرفعون من الركوع إلا بعد أن يقول الإمام سمع الله لمن حمده، ولا يسجدون إلا بعد أن يكبر للسجود ويهوى إلى الأرض.. وهكذا فى كل حركات الصلاة لا يسبقونه فيها، فإنما جُعل الإمام ليأتم به المصلون..

وذات يوم كان رسول الله ﷺ يصلى بالناس إماما، فلما قضى الصلاة أقبل على الصحابة بوجهه وقال:

أيها الناس إنى إمامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف، فإنى أراكم أمامى ومن خلفى..

لقد نصح الرسول ﷺ أصحابه بضرورة الالتزام بمقتضى الإمامة التى ارتبطوا بها، فلا يجوز أن يخلوا بشروطها، ونهاهم الرسول الكريم عن سبق الإمام فى أية حركة من حركات الصلاة أو أى فعل من أفعالها..

ونبههم الرسول ﷺ إلى حقيقة خاصة به كنبى يوحى إليه وكرسول مجتبى، فقد خصه الله تعالى بقدرة خارقة، هى أنه يرى مَنْ خلفه كأنه يقف أمامه، ويشاهد صفوف المصلين الذين يقتدون به، وقد لاحظ أن بعضهم يسبق الإمام ويخرج عن أدب صلاة الجماعة..

ولعل ما يتعلمه المسلم فى صلاة الجماعة يدفعه إلى النظام فى حياته العامة، ويجعله يحترم رؤساءه الصالحين ويلتزم بما يصدر عن حكامه المخلصين مما تصلح به الدنيا ويستقيم به المجتمع..

ثم بدأ الرسول ﷺ يحث الصحابة على ضرورة استحضار عظمة الله تعالى فى الصلاة، وضرورة استشعار الغاية التى نعبد الله من أجلها أو خوفا منها، فإن الله تعالى قد بشر وأنذر، ورغّب ورهّب، وجعل الجنة مأوى المتقين، وجعل النار مثوى الكافرين.. ولهذا قال الرسول لأصحابه بعدما نهاهم عن سبق الإمام فى الصلاة:

والذى نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا..

فتساءل الصحابة وقالوا:

وما رأيت يا رسول الله؟

عندئذ قال النبى ﷺ :

رأيت الجنة والنار.

الزكـاة
بين المنع والتقديم

الزكاة فريضة محكمة من فرائض الإسلام، جعلها الله تعالى طهارة للمال والنفس، حتى يكون المال مباركا وحتى تبرأ النفس من الشح والبخل، ويعيش الناس متكافلين متراحمين، قال الله تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

(التوبة / ١٠٣)

وكان رسول الله ﷺ يهتم بهذه الزكاة اهتماما كبيرا، ويعين الولاة الذين يتولون جمع الزكاة من الأغنياء لتوزيعها على المستحقين من الأصناف الثمانية الذين ذكرهم الله تعالى في قوله:

﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾.

(التوبة / ٦٠)

وذات يوم بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليجمع الصدقات فشاع بين الناس أن ثلاثة أفراد منعوا الزكاة ورفضوا إعطاءها لعمر، وهم: ابن جميل، وخالد بن الوليد، والعباس بن عبد المطلب، ورفع أمرهم إلى الرسول فبدأ يتفحص حال كل منهم ويعلن موقفه..

أما ابن جميل فكان رجلا فقيرا لا مال له، ثم أغناه الله تعالى، فلم يشكر ولم يعرف حق الله فى المال ونسى حاله الأول، وتلك مأساة أخلاقية أن يتعامل الإنسان بمقياسين ويكيل بكيلين، إن كان له الحق طالب وألح فى الطلب، وإن كان عليه الحق منع وماطل..

وأما خالد بن الوليد فمظلوم فى هذه الإشاعة، فإن أمواله التى عنده من أسلحة وعتاد ودواب وغيرها ليست للتجارة وإنما قد جعلها وقفا خالصا لله تعالى، والمال الموقوف فى سبيل الله لا زكاة فيه، فخالد بن الوليد لم يمتنع عن دفع الزكاة التى تمثل جزءا يسيرا من المال ولكنه دفع ماله كله فى سبيل الله، فهو من الذين أحبوا الله حبا جما،، وبذلوا أموالهم حسبة لوجه الله.

وأما العباس بن عبد المطلب فهو عم الرسول ﷺ، والعم والد، وليس يعقل أن يمتنع العباس عن دفع الزكاة الواجبة وإنما الذى خفى على الناس يومئذ هو أن العباس قد عجل زكاة أمواله وأعطاها للرسول مقدما عن سنتين قادمتين، وبهذا زال اللبس فى شأن العباس وخالد..

عندئذ قال النبى ﷺ: **ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرا فأغناه الله، وأما خالد فإنكم تظلمون خالدا، قد احتبس أدراعه وأعتاده فى سبيل الله، وأما العباس فهى علىّ ومثلها معها، ثم قال: يا عمر أما شعرت أ ن عمَّ الرجل صنو أبيه..**

الرفق فى الصيـام

تكليف الله تعالى لعباده مرتبط باليسر بلا مشقة ولا عسر، فإن العبادات منـاهج للتربية، تقوم على مراعاة الطبائع الإنسانية السوية..

قال الله تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

(البقرة / ٢٨٦)

وقال جل شأنه:

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

(الحج / ٨٧)

ويحدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه، وهـو الـذى خـدم رسـول الله ﷺ عشـر سنين فما وجد من الرسول الكريم إلا حسن الخلق والمعاملة المثلى..

يقول أنس: كان رسول الله ﷺ يصلى فى رمضان فجئت فقمت إلى جنبه، وجاء رجل آخر فقام أيضا حتى كنا رهطا..

أى أن الرسول ﷺ قام يصلى ليلا فى المسجد خلال شهر رمضان، فلمـا أحـس الصحابة بصلاة رسول الله أرادوا مشاركته فى هذا الخير، لأنهم كانوا أشد حرصـا على حسن الاقتداء به فى كل ما يأتى وما يذر.. فقاموا خلفه حتـى اجتمـع عـدد كبير يصلى بصلاة رسول الله ﷺ.

يقول أنس: فلما أحس النبى ﷺ أنَّا خلفه جعل يتجوَّز فى الصلاة..

يعنى أن النبى ﷺ حين شعر بأن الصحابة يصلون خلفـه وائتمـوا بـه – جعـل الرسول يخفف فى قراءته وركوعه وسجوده واقتصر على ما تحسن به الصـلاة دون تطويل..

يقول أنس: ثم دخل رحله فصلى صلاة لا يصليها عندنا..

يعنى أن النبى ﷺ انتهى من صلاته فى المسجد على غير عادته، ودخل منزله وبدأ يصلى صلاة على مهل، بما يتحمله النبى المصطفى ويتناسب مع مكانته من ربه وقربه من مولاه.. فإن الناس مقامات، وأعلى مقام هو مقام النبوة، وبقدر علو المكانة يكون حسن العبادة، وبقدر معرفة المرء بالله تعالى تكون خشيته منه سبحانه..

لقد رفض رسول الله ﷺ أن يستمر فى صلاته مع الصحابة فى المسجد حتى لا يشق عليهم ولا تلزمهم بعد ذلك فيعجزون عن أدائها، وترك كل مسلم يؤدى من صلاة الليل ما تنشط همته له وما ينشرح صدره به..

ولهذا فلما أصبح الصباح أقبل الصحابة يسألون رسول الله عما حدث وقالوا: أفطنت لنا الليلة؟ يعنى هل أدركت أنا اجتمعا خلفك للصلاة ثم تركتنا ودخلت المنزل..

فقال رسول الله ﷺ: نعم، ذاك الذى حملنى على الذى صنعت.. يعنى أن اجتماعكم خلفى هو الذى حملنى على ترك صلاة الليل فى المسجد ودفعنى إلى أدائها فى البيت.

وفى هذه الأثناء أيضا كان رسول الله يواصل الصيام بمعنى أنه يصوم يومين فأكثر من غير فطر، وهذا مما اختص به رسول الله لأن قرة عينه فى العبادة تجعله أكبر من أن يحس بألم جوع أو عطش، وأراد الصحابة أن يواصلوا الصيام فنهاهم الرسول ﷺ لأن الوصال مقام يصعب الالتزام به ويشق على الناس وكان الرسول رفيقا بأمته رحيما بهم..

وأبى الصحابة أن ينتهوا فقام الرسول معهم بتجربة عملية فواصل بهم فى آخر الشهر حتى يثبت لهم ما يعتريهم من ملل فى العبادة وتقصير فى بعض المأمورات الشرعية والواجبات الاجتماعية..

لكن الوقت كان متأخرا فظهر الهلال فى آخر شهر رمضان بعد يومين من عملية الوصال، وبذلك انتهى الصيام..

وهنا ذكرهم الرسول ﷺ بأن المتشددين فى العبادة، المجاوزين للحد لا يستطيعون الاستمرار على هذه الحال، وسيعقب ذلك إرهاق وملل، وشأن المسلم أن يحافظ على العمل ويداوم عليه وإن قلّ..

عندئذ قال النبى ﷺ:

ما بال رجال يواصلون إنكم لستم مثلى ، أما والله لو تمادّ لى الشهر لواصلت وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم..

الصوم فى السفر

شَرْع الله تعالى منوط بمصلحة الإنسان، والتكاليف لم تشرع للعسر وإنما هى مرتبطة بوسع الإنسان..

فعند فقد الماء أو تعذر استعماله يتيمم المسلم، وإذا لم يستطع الصلاة من قيام صلى من قعود أو اضطجاع، وإذا كنا على سفر جمعنا بين الظهر والعصر فى وقت إحدى الصلاتين، أو بين المغرب والعشاء فى وقت إحداهما، وأدينا الصلاة الرباعية مثنى.. كل ذلك تخفيف من الله ورحمة..

كذلك فإن الصوم شرعه الله تعالى لتهذيب النفس، وتربية الإرادة، وتطهير السلوك والرقى به إلى مستوى ملائكى كريم..

وإذا كان الإنسان مريضا أو على سفر جاز له الفطر فى شهر رمضان، وعليه قضاء أيام أخر بعد انتهاء العذر الذى منعه من الصوم..

وذات يوم جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال:

(يا رسول الله إنى صاحب ظهر أعالجه، أسافر عليه وأكريه، وإنه ربما صادفنى شهر رمضان، وأنا أجد القوة، وأجدنى أن أصوم أهون علىّ من أن أؤخره فيكون دينا علىّ).

أى أن هذا الرجل كان كثير السفر، وكان له جمل يسافر عليه، ويؤجره للناس فى رحلاتهم وتجاراتهم فهو أشبه بمن يملك اليوم سيارة أجرة لركوب الناس وحمل أمتعتهم..

وأثناء سفرياته المتعددة يحل عليه شهر رمضان، وهو يستطيع أن يصوم فى السفر ولا يشق عليه ذلك، وقد أبدى للرسول ﷺ ملاحظة جديرة بالاعتبار، فهو يرى أن صيامه فى السفر، أهون عليه من فطره، لأنه لو أفطر فهو مطالب بأن

يقضى ما فاته من أيـام رمضان وبذلك تظل هذه الأيام دينا فى ذمته، وهو يريد أن يبرأ مما عليه ويؤدى واجباته الشرعية فى أوقاتها الأصلية طالما أنه لا يشق عليه، وأن طبيعة عمله تقتضى السفر المتواصل..

واستشار الرجل رسول الله فيما اختار لنفسه من الصيام فى السفر..

عندئذ قال النبى ﷺ :

إن شئت فصم وإن شئت فأفطر..

الأضحية

الأضحية هى الذبيحة من الإبل أو البقر أو الغنم، يتقرب بها إلى الله تعالى أيام عيد الأضحى المبارك وسميت بذلك لأنها تفعل فى الضحى، وهو ارتفاع الشمس فى أول النهار..

والأضحية تذكرنا بقصة الفداء لإسماعيل عليه السلام، عندما رأى إبراهيم الخليل فى المنام أنه يذبح ولده إسماعيل، ورؤيا الأنبياء حق فلما هَمّ بتنفيذ رؤياه واستسلم كل منهما لقضاء الله – جاء الفداء من السماء بكبش عظيم..

والأضحية فى عيد النحر تقابل الزكاة فى عيد الفطر، مقصود بها التوسعة على المسلمين، والتكافل الاجتماعى بينهم حتى يعيشوا أيام العيد فى بهجة وسرور ومودة ورحمة..

وفى عام من الأعوام على عهد رسول الله ﷺ – كما تروى السيدة عائشة رضى الله عنها (دَفَّ أهل أبيات من أهل البادية حضرة الأضحى زمن رسول الله). أى حضر إلى المدينة جماعة من ضعفاء الأعراب ونزلوا على أهل المدينة فى أيام العيد طلبا للمواساة ورغبة فى أن يجدوا طعاما عندهم.. وشاع أن هؤلاء الأعراب فى المدينة فأصدر رسول الله ﷺ هذا الأمر: ادخروا ثلاثا ثم تصدقوا بما بقى..

أى أن الرسول نصح المسلمين أن يأكلوا من لحوم الأضاحى ثلاثة أيام فقط ولا يزيدوا فى ادخار اللحوم على هذه الثلاثة وعليهم أن يتصدقوا بما بقى من اللحوم على فقراء المدينة وغربائها الذين وفدوا فى هذا الوقت..

فإن مجتمع المسلمين مجتمع متراحم يأخذ قويهم بيد ضعيفهم، ويبذل غنيهم لفقيرهم، وكل واحد منهم يؤثر الآخر على نفسه، ويعيش الجميع عباد الله إخوانا..

وظل المسلمون يلتزمون بهذا التوجيه النبوى بشأن لحوم الأضاحى، فلما انفرج الموقف واستقرت الأحوال وهدأت الأمور تساءل الناس عن حكم ادخار الأضاحى بعد ثلاثة أيام ورفعوا شكواهم إلى رسول الله ﷺ..

وحيث إن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما، وحيث إن لكل موقف ما يناسبه فقد تغير الحكم وأصبح الأمر متروكا لكرم المتصدق وجوده، وكان من المستحب أن تكون الأضحية ثلاثة أقسام: قسم يهدى وقسم يتصدق به وقسم يؤكل ويدخر..

عندئذ قال النبى ﷺ:

إنما نهيتكم من أجل الدافة (جماعة ضعفاء الأعراب الذين يفدون إلى المدن)، فكلوا وادخروا وتصدقوا.

حكم الصيد أثناء الحج

إذا أحرم المسلم بالحج أو العمرة تجنب محظورات منها صيد البر الوحشى، فلا يحل له أن يصطاد أو أن يأمر بالصيد لقوله تعالى:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

(المائدة / ٩٦)

وإذا اصطاد الحاج أو المعتمر حيوانا بريا وحشيا وجب عليه كفارة هى ذبح مثله من الأنعام إن كان له مثل، فمن اصطاد نعامة وجب عليه ذبح بدنة، ومن اصطاد بقرة وحشية وجب عليه ذبح بقرة وهكذا، وإن كان الصيد مما لا مثل له كالجراد فإنه يتصدق بقيمته طعاما على فقراء الحرم..

وعلى كل فالمحرم بالحج أو العمرة مخير عند قتل الصيد بين ذبح الهدى، أو إطعام قيمته للفقراء والمساكين، أو الصيام أياما بعدد الفقراء الذين يمكن أن ينتفعوا بالهدى..

وإذا دعى المحرم بالحج أو العمرة إلى طعام صيد برى لم يباشره بنفسه ولم يأمر بصيده، أو أهدى إليه أو اشتراه فلا حرج فى ذلك شرعا وله أن يأكل منه.

وذات يوم كان الرسول ﷺ مع أصحابه فى مكة المكرمة، منهم المحرم ومنهم غير المحرم، وفى بعض طرق مكة تخلف أحد الصحابة وهو أبو قتادة مع أصحاب له محرمين، وكان هو غير محرم، فرأى حمارا وحشيا فقصد إلى صيده واستوى على فرسه، وسأل أصحابه أن يناولوه سوطه فأبوا عليه، فسألهم أن يناولوه رمحه فأبوا عليه، فهم قد رفضوا المشاركة فى صيد هذا الحيوان البرى لأنهم محرمون بالحج، فأخذ أبو قتادة يطارد الحيوان الوحشى حتى اصطاده،

وقدمه لأصحابه ليأكلوه، فأكل منه بعض أصحاب النبى ﷺ وأبى البعض الآخر أن يأكلوا بحجة أنهم محرمون فلا يصطادون ولا يأكلون من الصيد..

ثم التقى الجميع برسول الله ﷺ وعرضوا عليه الموقف وسألوه الفتوى فأباح لهم الأكل من الصيد طالما أنهم لم يصطادوه ولم يساعدوا فى صيده ولكنه قدم لهم هدية أو بيعا..

وعندئذ قال النبى ﷺ:

إنما هو طعمة أطعمكموها الله.

وداعبهم قائلاً:

هل معكم من لحمه شىء..

النيابة فى الحج

حج رسول الله ﷺ حجة الإسلام فى العام العاشر للهجرة، واجتمع حوله مائة ألف أو يزيدون من الصحابة، يرددون فى جنبات الكون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك؛ وتكررت المواقف المأثورة والأقوال الحكيمة والتوجيهات الراشدة التى وجهها الرسول إلى أصحابه والمسلمين كافة..

وفى موقف كان الرسول يركب ناقته وخلفه الفضل بن العباس، وهو ابن عم رسول الله، فجاءت امرأة تستفتى رسول الله، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وتنبه الرسول إلى هذا فجعل يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، حاثًا له على غض البصر الذى يجب أن يكون خلقا عاما بين الرجال والنساء، فإن الله تعالى يقول:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾

(النور / ٣٠ : ٣١)

وكان سؤال المرأة عن الحج نيابة عن أبيها وقالت: إن فريضة الله على عباده فى الحج أدركت أبى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟

إن المرأة كانت حريصة على بر والدها، وحريصة على أن ينال من ثواب الله ما يرفعه درجات فى الجنة، ويباعد بينه وبين عقاب الآخرة..

فهذا الرجل كان شيخا كبيرا ، لا يتمكن من الركوب على الدابة ولا يستطيع أداء الحج لشيخوخته، فالحج يجب على المستطيع ببدنه وماله، ولا يجب عند العجز البدنى والمالى، لكن ربما يكون الإنسان مستطيعا بماله عاجزا ببدنه، فهنا يمكنه أن يستأجر شخصا أو يذهب أحد أقاربه ليقوم مكانه بأداء مناسك الحج، وكذلك يجوز الحج عن الميت سواء كان حال حياته مستطيعا أم غير مستطيع، فإن ذلك من البر الذى يصل ثوابه إلى الميت..

ويجوز أن يكون النائب فى الحج رجلا أو امرأة، وكل ما يشترط هو أن يؤدى النائب الحج عن نفسه أولاً، وفى عام آخر يؤدى الحج عن غيره، لأن الحج عن النفس والحج عن الغير لا يجتمعان فى عام واحد..

ومن البر بالآباء والأمهات قضاء ديونهما وأداء الحج عنهما والدعاء لهما.. ومهما حاول الأبناء الوفاء بحق الآباء فإنهم عاجزون ومقصرون، وسيظل للآباء الفضل دائما، وعلينا أن نعمل ونجتهد والله يتولى الجزاء، ونية المؤمن أبلغ من عمله.. فلتكن نياتنا صالحة ولنعمل بقدر ما نستطيع..

إن المرأة سألت عن الحج عن أبيها.. وعندئذ قال النبى ﷺ:

حجى عنه.

المرأة أثناء الحج

المرأة تشارك الرجل فى كافة العبادات، فتصلى وتصوم وتزكى وتحج، إلا أنها يعتريها الحيض والنفاس فتمتنع حينئذ عن الصلاة والصيام ثم إذا تطهرت قضت صيامها ولا تقضى صلاتها، لأن الصلاة متكررة يوميا خمس مرات فيصعب ويشق قضاء الصلاة الفائتة أثناء فترة الحيض والنفاس، أما الصوم فهو شهر كل عام ويسهل قضاء ما فاتها منه..

وإذا أرادت المرأة الحج فإنها تؤدى المناسك كما يؤديها الرجل وتختلف عنه فى أمور يسيرة، فإحرام الرجل يكون بالتجرد من المخيط ويلبس ثوبين أبيضين إزارا ورداء، وإحرام المرأة يكون بكشف وجهها وكفيها فقط وتلبس ملابسها المحتشمة المعتادة..

وإذا أصاب المرأة الدورة الشهرية فإنها ترجئ الطواف والسعى حتى تطهر، لأن الطواف كالصلاة يشترط له الطهارة، والسعى لابد أن يقع عقب طواف..

أما الوقوف بعرفة يوم التاسع من ذى الحجة فلا يشترط فيه الطهارة فيصح للمرأة أن تقف بعرفة حائضا ونفساء..

وعلى عهد رسول الله ﷺ وفى العام العاشر للهجرة خرج الرسول الكريم من المدينة المنورة ومعه أزواجه أمهات المؤمنين وحوله الصحابة الكرام ليؤدوا حجة الوداع، وحين اقترب الركب الميمون من مكة المكرمة وكانوا على قرب أميال فى مكان يقال له (سَرِف)- حاضت السيدة عائشة رضى الله عنها فغلبها الحزن، ودخل عليها رسول الله ﷺ فوجدها تبكى فقال: ما يبكيك؟ فقالت: والله لوددت أنى لم أكن خرجت العام، فقال: مالك؟ لعلك نفست، قالت: نعم.

لقد حزنت السيدة عائشة عندما جاءتها الدورة الشهرية وهى فى طريقها إلى أداء حجة الإسلام، وظنت أن ذلك يمنعها من الاستمرار فى أداء

المناسك ولكن الرسول الكريم طمأنها وبيّن لها أن الدورة الشهرية شيء طبيعي قد فطر الله النساء عليه، وأمرها أن تستمر في المناسك ونهاها عن الطواف حتى تنتهي دورتها ثم تغتسل..

إن السيدة عائشة بكت حين جاءتها الحيضة، وعندئذ قال النبي ﷺ:

هذا شيء كتبه الله على بنات آدم، افعلي ما يفعل الحاج غير ألاَّ تطوفي بالبيت حتى تطهري..

محرمات الإحرام

إذا أحرم المسلم بالحج أو العمرة بأن نوى من الميقات المكانى ولبى قائلا: اللهم إنى أحرمت بالحج أو العمرة أو هما معا، اللهم تقبله منى ويسره لى، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك..

منذ هذه اللحظة يتجنب الحاج أو المعتمر أشياء مثل لبس المَخيط أو المُحيط المعمول على قدر البدن أو عضو منه، ولا يغطى رأسه إن كان رجلا، ويمتنع عن استعمال الطيب بجميع أنواعه، ولا يلبس النعلين اللذين يغطيان الرجلين إلى الكعبين، ولا يقطع شجر الحرم، ولا يصيد حيوانه الوحشىّ.. ولا يتولى عقد النكاح لنفسه أو لغيره، ويظل المسلم متجردا من ذلك كله، يعيش بقلبه وقالبه مع الله تعالى فى أرضه المقدسة، ويستحضر ذكريات التاريخ منذ عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، عندما رفعا قواعد البيت الحرام ليكون مثابة للناس وأمنا..

وذات يوم جاء رجل إلى النبى ﷺ ، وكان معتمرا، ولم يكن الرجل يدرى أن الطيب حرام على المعتمر، ولم يكن يعلم أن ارتداء الملابس العادية لا يجوز أثناء الإحرام..

قدم الرجل وعليه جبة عليها خلوق أو أثر صفرة (نوع من الطيب)، فقال: يا رسول الله كيف تأمرنى أن أصنع فى عمرتى؟

ولم يكن الرسول ﷺ ينطق عن الهوى، ولم يكن يجيب إلا بوحى إلهى سابق أو لاحق..

ففى هذه اللحظة التى سأل فيها الرجل نزل الوحى على رسول الله ﷺ ، وكان لتلقى الوحى شدة ومعاناة، فأحيانا تعترى الرسول حالة يتفصد لها عرقا فى اليوم الشاتى، وأحيانا يعلو نَفَسُه ويتردد بشدة، ويكون له غطيط كغطيط البَكْر (صوت كصوت الفتى من الإبل).

وقد اعترت الرسول هذه الحالة الأخيرة بعدما سأل السائل، فلما سُرى عنه وانتهت لحظة الإيحاء، قال ﷺ : أين السائل عن العمرة؟ وأفتاه الرسول بأن يزيل أثر الطيب ويخلع جبته ويرتدى إزارا ورداء، ويجتنب باقى المحرمات، ولا شىء عليه لنسيانه، ويتم باقى المناسك..

فعندئذ قال النبى ﷺ :

اغسل عنك أثر الصفرة، واخلع جبتك واصنع فى عمرتك ما أنت صانع فى حجك..

العمرة فى رمضان

الله تعالى خالق الزمان والمكان، ومدبر الكون بأجمعه، وهو سبحانه يخلق ما يشاء ويختار، فقد فضل بعض الأماكن على بعض كالحرم المكى والحرم المدنى والحرم الأقصى..، وفضل الأزمان على بعض كشهر رمضان وليلة القدر والأشهر الحرم ويوم عرفة.. الخ، وفضل بعض الأنبياء على بعض كمحمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وفضل بعض الملائكة على بعض كجبريل وميكال.. وهكذا.

وأداء الطاعة والعبادة مقرونة بزمن فاضل أو مكان مفضل يفوق فى الثواب والأجر أداءها فى زمان أو مكان آخر..

فالصلاة فى المسجد الحرم بمائة ألف صلاة، وصيام يوم عرفة يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده..

وذات يوم قال النبى ﷺ لامرأة من الأنصار يقال لها أم سنان: ما منعك أن تكونى حججت معنا؟

فالرسول الكريم كان يتفقد أصحابه، ويسأل عنهم، ويسعى فى حوائجهم، وفى حجة الوداع التى أداها الرسول ﷺ فى العام العاشر للهجرة، وكان معه مائة ألف أو يزيدون من الصحابة، لم ينس الرسول هذه المرأة، وعندما رجع إلى المدينة استفسر منها عما منعها من مشاركة المسلمين هذه الحجة العظيمة التى كانت تتويجا لأكثر من عشرين عاما من كفاح الدعوة الإسلامية..

وأجابت المرأة قائلة: ناضحان كانا لأبى فلان «زوجها» حج هو وابنه على أحدهما وكان الآخر نسقى عليه نخلا..

لقد بينت هذه المرأة أن هناك ظروفا حالت دون مشاركتها فى الحج مع رسول الله وهى أن زوجها يملك راحلتين، فأخذ واحدة يركب عليها هو وولده، وبقيت

راحلة فى المنزل مع هذه الزوجة تؤدى عليها عملا لا يحتمل التأجيل، وهو سقى النخل ورعاية موارد البيت.. فليس جائزا أن يحج الإنسان ويدع أهله بلا زاد..

ولما استشعر الرسول ﷺ قيمة عمل المرأة ونيتها الصالحة وإيثارها زوجها على نفسها نصحها الرسول الكريم بأن تؤدى عمرة فى شهر رمضان، فمن أدى عمرة فى هذا الشهر الفضيل كان له من الثواب والأجر، ما يعدل ثواب حجة مع رسول الله..

عندئذ قال النبى ﷺ :

فإذا جاء رمضان فاعتمرى فإن عمرة فيه تعدل حجة..

الحج فريضة العمر

الحج فريضة محكمة، جعلها الله تعالى خاتمة أركان الإسلام، وربطها سبحانه بالاستطاعة فى الزاد والراحلة وأمن الطريق، قال الله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

(سورة آل عمران – ٩٧)

والحج فريضة العمر بمعنى أن المسلم يؤديه مرة واحدة على سبيل الركن والفرضية فى حياته كلها، وما يتكرر بعد ذلك إنما هو على سبيل الندب والسنة..

ومما لا شك فيه أن للحج منافع روحية ومادية، ويكفيه على المستوى الفردى التجرد من حطام الدنيا، والإخلاص لله وحده، وصفاء القلب، واستشعار الملأ الأعلى..

وعلى المستوى الجماعى: التعارف الإسلامى، والتقاء قادة المسلمين على كلمة سواء هى لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك. قال الله تعالى:

﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

(سورة الحج – ٢٧ : ٢٨)

وذات يوم خطب رسول الله ﷺ أصحابه فقال:

أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا..

فالرسول الكريم هنا يبلغ كلمة ربه، ويوضح للناس ما يقربهم إلى الله ويصلح شئونهم، وقد كان الرسول ﷺ دائما وأبدا يخطب الناس فى الجمع والأعياد والمناسبات، وكلما جدت ظروف أو طرأ حادث يجمعهم ليحثهم على الخير ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر..

وخلال هذه الخطبة التى يبلغهم الرسول فيها حكم الله فى الحج وأنه فريضة، قام رجل وسأل الرسول هذا السؤال:

أكل عام يا رسول الله؟

لقد أراد الرجل أن يتأكد من أن فريضة الحج مرة واحدة فى العمر أم تتكرر بتكرر الأعوام..

ومن المعروف أن العمرة تتكرر فى العام الواحد بل قد تتكرر فى اليوم الواحد لأنها لا ترتبط بزمن معين..

أما الحج فيقع فى العام مرة واحدة، وتكراره إنما يكون بتكرار الأعوام لأنه مرتبط بزمن خاص هو تاسع ذى الحجة من العام الهجرى، فالحج عرفة..

وحين سأل الرجل هذا السؤال سكت النبى ﷺ حتى قالها الرجل ثلاثا..

وعندئذ قال النبى ﷺ:

لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم.

ثم قال:

ذرونى ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه..

ثواب الله فى التسبيح

شأن المسلم أن يظل لسانه رطبا بذكر الله تعالى، لأن ذكر الله بجلاله وكماله يعين على استقامة السلوك وحسن العمل وإخلاص النية..

والمسلم يذكر الله تعالى على أحواله كلها فى السراء والضراء، بالليل والنهار، وقد وصف الله جل شأنه أصحاب العقول النقية الصافية بدوام الذكر والتسبيح فقال:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾

(سورة آل عمران – ١٩٠، ١٩١)

وذات يوم كان الرسول الكريم فى بيت السيدة جويرية بنت الحارث إحدى أمهات المؤمنين رضى الله عنهن، فخرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهى فى مسجدها الخاص بها فى بيتها، فإن من الخير أن يكون للمسلم فى بيته موضع للصلاة طاهر، يظل بمنأى عن النجاسات والضوضاء ومجالس اللغو..

وعاد النبى ﷺ إلى بيت زوجته السيدة جويرية فى الضحى بعد شروق الشمس وارتفاعها، فرأى السيدة جويرية ما زالت جالسة فى مصلاها على طهارتها تذكر الله تعالى وتمجده، وتحمده، وتثنى عليه الخير كله..

وقد سألها النبى ﷺ قائلا: مازلت على الحال التى فارقتك عليها؟!

قالت: نعم..

وقد كان النبى ﷺ حريصا على المؤمنين والمؤمنات، رءوفًا بهم رحيما، يخفف عنهم من الأعمال ما يشق، ويرشدهم إلى ما ينفعهم فى الدنيا والآخرة، ويذكرهم بما عظم ثوابه، ويخشى عليهم السآمة والملل، ويحذرهم من المغالاة، ويأمرهم دائما بالقصد والاعتدال..

وصدق الله حيث يقول:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾.

(سورة التوبة / ١٤٨)

ولهذا لما رأى النبى ﷺ زوجته قد طال مجلسها فى مسجدها ذكر لها بعض التسابيح التى لها شأن فى الثواب والفضل والعطاء الربانى، مع أنها لا تستغرق وقتا، وبيّن لها أنه قد رددها فى وقت قصير بنية صالحة وقلب خاشع، فعدلت ثواب ما عملته هى فى مدة مكثها الطويل من مطلع الفجر إلى ضحى الشمس..

فمدار الثواب الإلهى ليس على كثرة العبادة فى حد ذاتها ولكن على قلوب العباد، فرب كلمة صادقة مخلصة ينطق بها الإنسان تعدل فى ثوابها عملا يستغرق زمنا طويلا..

عندئذ قال النبى ﷺ:

لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته..

الرفق فى الدعـاء

وفضل «لا حول ولا قوة إلا بالله»

المسلم حريص على أن يكون صمته فكرا، وكلامه ذكرا، وإذا تكلـم المسلم كـان ذلك برفق ولين، يخفض صوته، ولا يزعج أحـدا، وقـد أمرنـا الله تعـالى بـالصوت الهادئ فى مواطن متعددة من القرآن المجيد، فقال الله جل شأنه:

﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾

(سورة لقمان / ١٩)

وهذا التشبيه بصوت الحمير يجعل الإنسان ينفر نفورا شديدا من الصخب والضوضاء والإزعاج..

وعندما نصلى ونعبد الله تعالى يظل للصوت الهادئ احترامه وتقديـره، فيقول الله تعالى:

﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾

(سورة الإسراء / ١١٠)

وذات يوم كان الرسول ﷺ فى سفر، فجعل النـاس يجـهرون بالتكبـير وكـانوا يصعدون فى ثنية، فجعل الرجل كلما علا ثنية نادى: لا إله إلا الله والله أكبر..

ويبدو أن الصوت كان مرتفعا جدا، وفيه تكلف شديد، ويصاحبه انفعـال قـوى حتى أجهد الناس..

فجمعهم رسول الله ﷺ وخطبهم قائلا:

أيها الناس اربعوا على أنفسكم، إنكم ليس تدعون أصم ولا غائبا، إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم..

والمعنى الذى أراد الرسول الكريم توجيهه للمسلمين هو الرفق وخفض الصوت فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان إذا كان يخاطب من لا يسمع لصمم فى أذنه أو لبعد فى مكانه، وأنتم أيها الناس إنما تدعون الله عز شأنه وتبتهلون إليه جل جلاله، وليس هو سبحانه بأصم ولا غائب بل هو السميع القريب، وهو معكم دائما بالعلم والإحاطة على جهة العموم وبالرعاية والعناية لمن أطاعه على جهة الخصوص..

فعليكم بالسكينة والهدوء وخفض الصوت فذلك أبلغ فى التوقير وأدخل فى التعظيم، ما لم يرد عن الشرع إذن بالرفع كما فى حال النداء للصلاة المفروضة وكما فى حال التلبية أثناء الحج والعمرة..

فإن الأذان يشرع بصوت عال حتى تتحقق الاستجابة للنداء والإسراع للصلاة، وإن التلبية تشرع بصوت عال للرجال فقط فيرددون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

وكان أحد الصحابة خلف رسول الله ﷺ وهو يعظ الناس وينبههم إلى ضرورة الرفق فى الدعاء، وكان هذا الصحابى واسمه عبد الله بن قيس.. يحوقل ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله. أى تسليما لله، وتفويضا، واعترافا بقوته، وإذعانا لسلطانه، فالأمر كله لله، وليس يملك الإنسان من أمر نفسه شيئا، فالحركة والسكون بقوة الله، ودفع الشر وتحصيل الخير بقدرة الله..

فالتفت النبى ﷺ إلى هذا الصحابى الذى يردد: لا حول ولا قوة إلا بالله، وقال:

ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟

والكنز المراد هنا هو ثواب مدخر فى الجنة وعطاء نفيس يمنحه الله لأصفيائه.

فقال الرجل: بلى يا رسول الله ..

عندئذ قال النبى ﷺ:

قل لا حول ولا قوة إلا بالله..

مجالس الذكر

حياة الإنسان موقوفة على عمله للدنيا والآخرة، فهو يسعى باسم الله لعمارة الأرض واكتشاف أسرار الكون، لكى يعيش عزيز النفس ويلقى الله بصالح الأعمال التى تجعل امتداد حياته فى نعيم الخلد..

والسعى لتحصيل مطالب الحياة الدنيا لون من طاعة الله عز وجل طالما كان هذا السعى فى حلال مشروع ومن أجل العفاف والعفة، وطالما حرص الإنسان أثناء سعيه أن يؤدى العبادات المفروضة والطاعات الواجبة..

لكن لابد للإنسان من وقت يخلو فيه بنفسه أو مع إخوانه الطيبين الطاهرين لاستشعار جلال الله وكماله على وجه خاص يستجمع فيه العقل والقلب ويستحضر الخشوع والتضرع، ويذكر الله بقلبه ولسانه فيقرأ القرآن ويسبح الله ويحمده ويمجده..

وذات يوم خرج الرسول ﷺ على مجموعة من أصحابه رضى الله عنهم اتخذوا حلقة فى المسجد فسألهم قائلا: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومَنّ به علينا..

أى إنهم جلسوا مستشعرين لعظمة النعمة التى وفقهم الله تعالى إليها، فقد هداهم للإسلام ذلك الدين القيم، ومنحهم القرآن ذلك الكتاب العزيز الخالد، وجعلهم أعزة بالدين الحق بعد أن كانوا يعبدون الأصنام، ويأتون الفواحش، ويقطعون الرحم، ويسيئون الجوار، ويأكلون الميتة..

وأراد الرسول ﷺ أن يستوثق من غاية مجلسهم وهدف اجتماعهم فقال: آللهِ ما أجلسكم إلا ذلك؟

أى أن الرسول استحلفهم بالله أن هدف اجتماعهم هو ذكر الله وحده وتدبر آلائه ونعمه..

فقالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك..

فاجتماعهم على البر والتقوى ، وليس اجتماعا على معصية، ولا لقاء على منكر، ولا صحبة على فحشاء، فقد تجردوا من كل شيء والتقوا بصفاء ومودة على هذا الهدف النبيل..

وهذا اللقاء على الطاعة، والصحبة على البر لله وفى الله هو أرقى أنواع العلاقات الاجتماعية وأطهرها وأبقاها، ولهذا قال الله تعالى:

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

(الزخرف / ٦٧ : ٧٠)

وحين يجلس المسلم مع أخيه المسلم يذكر الله على نعمائه يتجلى الله تعالى عليهم بالخير العميم ويمنحهم الثواب الجزيل ويظهر فضلهم للائكته فى الملأ الأعلى..

ولهذا لما جلس هؤلاء الصحابة فى المسجد يذكرون الله وعلم الرسول الكريم شرف غايتهم.. عندئذ قال النبى ﷺ:

أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكن أتانى جبريل فأخبرنى أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة..